نفط روسيا

وحاجة هتلر

في اليوم الثالث من شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ ألقى هتلر خطبته التي أعلن فيها « ان العدوَّ في الشرق خرَّ صريعاً ولن تقومَ له قائمة » . واستشرف المستقبل فقال ، وهو أصحُّ قولاً « وانما أمامنا مشكلة واحدة هي مشكلة النقل » . ولو أضاف لفظ « النفط » الى هذه العبارة، لكمل وصف أكبر مشكلة يعانيها الآن النقل يعتمد على النفط ، ولا بدَّ للنفط أين وُجد من أن ينقل

قد تختلف الآراء في هل الحاجة الى النفط كانت أقوى العوامل التي حملت هتلر على مهاجمة روسيا . أما وقد انقضت سنة وخمسة أشهر على بدء هذا الهجوم فليست ثمة ريب في دوائر معظم الخبراء ،في ان حاجة هتلر الى نفط القوقاس غدت عظيمة . فشلهُ مثل الكيميائي القديم الذي استهواه تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، فأنفق كل ما يملكهُ من ذهب في ذلك الخسرهُ ولم ينجح التحويل

ن مصادر النفط الطبيعي والمصنوع ، الخاضعة لهتلر ، تخرج من عشرة ملايين طن الى اثني عشر مليون طن في السنة . وهذه الأرقام تشمل ما يستخرج من النفط الطبيعي في أوربا الخاضعة لألمانيا ، باستثناء ميكوب في شمال القوقاس الغربي وقد خرب الروس منابعها وفي أحدث الروايات أن إحدى الآبار دمّرت وأوشكت أن تتلف نظرتها العصابات الروسية) وهو ستة ملايين طن ، وأربعة ملايين طن من النفط المصنوع ، ومليونا طن من الأعواض . وأوربا الهتلرية كانت تنفق قبل الحرب في أغراض السلام — من نقل وصناعة وما أشبه — عشرين مليون طن ، فقيّد هذا الاستهلاك تقييداً دقيقاً . ومع ذلك فأقل ما يجب أن يقسم لها لأغراض غير حربية محض لا يقل عن ثمانية ملايين طن في حال ما اذا نقص عن هذا تأثرت بذلك الصناعة والزراعة تأثراً قد يوهن الآلة الحربية الألمانية

فيبقى اذن من مليوني طن الى أربعة ملايين طن من النفط مباحة للأعمال الحربية في جميع الميادين . وقد كانت الخلال الخطيرة التي شكَّت الألمان في مراحل الحرب الأول ، قبل

الهجوم على روسيا ، لا تستفيد كثيراً من النفط ولا سيّما لأنّ مقادير غير يسيرة أخذت من مخزون البلدان المغلوبة . ولكنّ ما يستنفدهُ القتال المستمرُّ — على تفاوت في الشدة — في روسيا ، يعيب الالمان مخزوناً يذكر يستولون عليه ، حتم على الحلفاء أن تعمد الى استنفاد بعض المخزون فيها . ومما لا ريب فيه ان مراود النفط جميعاً في القارة الأوربية لا تكفي لمعدل الاستهلاك . ويقول الخبير فردريك فيليب هلن [1] إنهُ على الرغم من تراخي القتال في روسيا في أثناء الشتاء الماضي ، فان هتلر لم يبدأ فصل القتال هذه السنة بأكثر من مخزون يتفاوت بين ثلاثة ملايين طن وخمسة ملايين وهو لا يكفي لقتال على نطاق القتال الروسي في السنة الماضية أكثر من خمسة أشهر أو ستة . اما الانتاج السائر وهو مليون طنٍ على المعدّل في الشهر ، سبعة أعشاره يجب أن تحوّل الى الاستهلاك الاهلي في الصناعة والزراعة والنقل وما أشبه — وهو أقل مقدار تحتاج اليه — فلا يبقى متاحاً من هذا الانتاج سوى ثلاثمائة الف طن للاعمال الحربية . وقد قال هذا الكاتب — في مقالٍ نشر في المجلة المشار اليها في عدد يونيو ١٩٤٢ [2] ومن المرجّح انهُ كتب على أقرب تقدير في ابريل — ما نصهُ : « فاذا لم يسيطر هتلر على القوقاس في فترةٍ أولها أغسطس وآخرها اكتوبر ١٩٤٢ فسيعجز عن شن الحرب الهجومية على النوال الذي شهدناه خلال السنوات الثلاث الماضية ، فيفلت زمام الحرب من يديه . واذا فاز بذلك منع عن جيوش روسيا ، وكيانها الاقتصادي : الوقود أو أكبر جانبٍ من الوقود الذي تحتاج اليه . ومع ذلك فان الاستيلاء وحدهُ لا يكفيه ، لأن الخطة التي اتبعها الروس ، في تخريب كلّ ما يضطرّون الى الجلاء عنهُ ، يقتضي منهُ أن يبدأ ثانيةً في حفر الآبار ، وانشاء معدات التقطير و « التحطيم » ومستودعات التخزين ، وتخصيص المركبات أو السفن اللازمة للنقل من المراكز الصناعية الى مبادين القتال . وتحقيق كلّ هذا يقتضي منهُ نقل المنشآت والمعدّات من فرنسا وهولندا وبلجيكا وتشكيل سواها كما الى القوقاس ، أو نقل النفط الخام بالسفن البحرية والنهرية والقطرات الى مصانع التقطير الاوربية التي تكاد تكون على الأكثر واقفة عن العمل الآن . ولكن هذا يشمل مشاقّ مستمرّة في النقل ، وتعرضاً لخطر القذف الجوي . واذا حلّت جميع هذه المشكلات على أوجه الأوفى ، فلا يحتمل ان يكون النفط متاحاً لهتلر قبل سنة ١٩٤٣ وهي السنة التي ينتظر لها ان تبلغ قوة الدول المتحدة أوجها أو تشرف عليه

---

(١) رئيس الاستثمار بمنطقة الاميركية وقد كان على صلة وثيقة بصناعات النفط في ايران والعراق وروسيا ويرتبط بوزارة النفط في أوربا والشرق الأوسط ومنهاب افريقية زيارات خبير (٢) واليه استندنا في هذا البحث

النفط الروسي

بلغ مقدار المستخرج من النفط في روسيا سنة ١٩٤٠ نحو أربعة وثلاثين مليون طن وهو زهاء ١١ في المائة من المستخرج في جميع أقطار الأرض. ويبلغ المستخرج من آبار القوقاس نحو ٨٥ في المائة من المجموع وعلى وجه خاص في منطقة باكو حيث يبلغ النفط الخام المستخرج أربعة وعشرين مليون طن. وهناك كذلك منطقتا مكوب وجروزني، ومقدار النفط المستخرج منهما يبلغ حوالي خمسة ملايين طن تصلح خاصة لاستخراج مواد التزييت الجيدة (مواد التشحيم أو المليسات Lubricants)[1]. وقد كشف في سنة ١٩٣٥ منطقة نفط بين جبال الاورال والفولجا، دُعيت «باكو الثانية» وإن كان المستخرج منها لم يزد على مليوني طن في السنة عندما هجم هتلر على روسيا. وتشير الأنباء التي يصح الاعتماد عليها الى ان مصانع كبيرة للتقطير أنشئت هناك وتكفي لتقطير مقدار من البنزين يبلغ ١٠ الى ١٤ في المائة من انتاج البنزين كله في روسيا

غير أن تطبيق النظام الاشتراكي على المزارع الروسية، والتوسع في انشاء المصانع الحديثة، واعداد جيش روسي كبير حديث المعدات والسلاح، فوز روسيا الى المقام الثاني بين الدول التي تستهلك النفط ومشتقاته. فقبل عشر سنوات او نحوها كانت روسيا، تصدر من نفطها اربعة ملايين طن الى ستة ملايين طن كل سنة فتنقص ذلك الى مليون طن او اقل قليلاً في سنة ١٩٣٨ ثم وقف الإصدار الا قليلاً في سنة ١٩٣٩ والنصف الاول من سنة ١٩٤٠ لأن روسيا كانت تحتاج الى نفطها

واعتماد الصناعة الروسية والزراعة الروسية والقوة الحربية الروسية على النفط ومشتقاته، يذلل الطرق التي انشأها الروس لنقل هذه المواد من مناطق القوقاس الى الشمال. في مقام الاول بين الأهداف الحربية في روسيا. ولو استطاع الالمان ان يشقوا طريقهم الى استراخان او الى ستالينجراد، بعد دخولهم روستوف في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤١ لحاق الخطر روسيا. لعم كان في وسعها حينئذٍ ان تعتمد على المخزون من الوقود وما يستخرج في باكو الثانية وغيرها من المناطق التي لا يكثر فيها استخراج النفط، ولرد شبح الخطر أمداً قصيراً، قد لا يزيد على بضعة شهور، والمحققات الحرب في روسيا بعد ذلك هي حرب حديثة، الى حرب عصابات على طريقة السيلبية في السنوات الخمس الاولى من الحرب ضد اليابان. ولو نجح الالمان في احتلال منطقة باكو جروزني لاصابوا فيها مقادير كبيرة من النفط تصلح لاستخراج مواد

---

(١) المليس او المليد هو ما يضعه على سطح عضو حتى يسهل حركته ويحميه من التآكل ويقلل الاحتكاك Friction في ما يخص المعدنية كالمحركات والآلات الحديثة

البترول . واذا كان اخراج الالمان من روستوف في السنة الماضية ، هزيمة محدودة ، من الناحية الحربية فانه كان هزيمة اكبر من ناحية الوقود . فلا الالمان اصابوا ما يحتاجون اليه . ولا نزعوا من الروس ما يحتاجون اليه ، وأتيحت الفرصة لروسيا ، لاء مستودعاتها والتوسع في ما يستخرج من المناطق الاخرى خلال أشهر الشتاء والربيع ١٩٤١ — ١٩٤٢ . وفي هذه السنة لم يكن نصيب الالمان من النجاح الحقيقي في هذه الناحية كبيراً . فقد أحلوا آبار ميكوب وهي أقل آبار القوقاس انتاجاً . ومع ذلك لا يزالون عاجزين عن الانتفاع بقطرة واحدة منها . وما زالوا محدودين من آبار جروزني . واما باكو فبعيدة عن متناولهم الآن . نعم إنهم اقتربوا من ستالنجراد واستولوا على جزء منها . ولكن يتضح ان اقترابهم في البدء لم يؤثر في قدرة الروس على استعمال القوقاز طريقاً لنقل النفط من الجنوب ، الا ، وعندما اصبح الالمان مشرفين من بعض المواقع على طريق القوقاز وراء المدينة ، كان النهر قد أشرف على التجمد ، ومنفعته للروس من هذه الناحية قد نقصت . وفي خلال هذه الاعمال الحربية الواسعة التي بدأوها في ٢٦ يونيو أنفق الالمان مقادير وافرة من النفط ومشتقاته بغير ان يصيبوا عوضاً يذكر عنها حتى الآن

نفط المانيا

يميل « هلن » الى الرأي بأن المانيا كانت قد اختزنت من النفط غير الاوربي ومشتقاته عند ما بدأت الحرب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، ما يتفاوت بين خمسة ملايين وسبعة ملايين طن متري . وكانت المانيا قد استوردت هذا النفط خلال سنوات وزادت مقادير ما تستورده زيادة كبيرة قبل نشوب الحرب . وكانت الحاجة الآن ماسة في المانيا الى النفط تكفي مما يستخرج من النفط الخام في بلادها ، ومما يصنع بالتركيب الكيميائي ، ومن بعض ما يستورد . أما المستخرج من النفط الخام في قارة اوربا ما عدا روسيا فيبلغ — مع شيء من التحفظ — ستة ملايين طن كل سنة ، منها أربعة ملايين تستخرج من آبار رومانيا و٦٠٠ الف طن من آبار في المانيا و ٥٠٠ الف طن من آبار في بولونيا و٣٠٠ الف طن من آبار في المانيا و ٢٠٠ الف طن من آبار في هنغاريا و٤٠٠ الف طن من آبار في النمسا واستونيا والالزاس وتشيكوسلوفاكيا

وبلغ المصنوع من النفط الصناعي مليوناً ونصف مليون من الأطنان في سنة ١٩٣٨ وكانت المصانع التي تصنع هذا المقدار تتفاوت من خمسة وعشرين الى خمسة وثلاثين وهي متفرقة . وكانت هذه المصانع قبل الحرب قد أنشئت على الأكثر في منطقة الفحم الالمانية في الغرب ومنطقة الفحم التي الى المانيا الوسطى . أما بعد نشوب الحرب فقد

أنشئت مصانع لهذا الغرض في الولايات الشرقية وعلى ساحل بحر البلطيق وفي تشيكوسلوفاكيا

وقد استحدثت ألمانيا طريقتين لصناعة البنزين من النفط ، بغير نظر الى تقنية الاستخراج وتعرف بأسمائهم بطريقة برجيوس والثانية بطريقة « فشر — تروبش » . أما الأولى فتحوّل النفط أو الفحم الى نفط مركّب خام ثم تستخرج منه المشتقات . أما النفط المركب المقام في الثانية فيصلح لاستخراج المشتقات منه وكذلك مواد التزييت . والأصناف جيدة بوجه عام

وقد تمكّنت ألمانيا من زيادة المصنوع من النفط المركّب بالأساليب الكيميائية ، من ١٠٠ الف طن في السنة (١٩٣٣) الى مليون من ونصف مليون طن في السنة (١٩٣٨) . والغالب عند خبراء النفط ان ما يصنع من النفط المركّب في ألمانيا وأوربا الخاضعة لها قريب جداً من أربعة ملايين طن في السنة

فلما نشبت الحرب ، انقطع الوارد الى ألمانيا من النفط ، إلاّ ما كان يجيئها من رومانيا وروسيا . وكانت روسيا قبل نشوب الحرب تصدر الى ألمانيا بضع مائة الف طن من البنزين ومواد التزييت ، وكانت تنقل بالسفن من البحر الأسود خلال الدردنيل والبحر المتوسط الى الثغور الألمانية على ساحلها الشمالي . فلما نشبت الحرب رأت روسيا انها لا تستطيع أن ترسل اليها النفط بالسفن . ففي خلال الفترة التي انقضت بين نشوب الحرب وهجوم ألمانيا على روسيا ، كانت روسيا ترسل الى ألمانيا ما ترسله من النفط بالسفن في البحر الأسود الى ثغور رومانيا وبلغاريا ثم ينقل بالسفن في نهر الدانوب ، أو بسكك الحديد . وما أرسل رأساً من روسيا الى ألمانيا بسكك الحديد كان يسيراً جداً ، وكان لا بدّ من تحويله عند الحدود البولونية من قطار الى قطار آخر لاختلاف عرض السكك الحديد في البلدين . ومن الجائز ان يستعمل الألمان الآن شبكة الأقنية التي أنشأها الروس لوصل البحر الأسود ببحر بلطيق

أما ما يستخرج من النفط في رومانيا فقد نقص نقصاً مطرداً حتى بلغ ستة ملايين طن في سنة ١٩٣٨) ومن هذا المقدار تصدر رومانيا أربعة ملايين طن من المشتقات وتستبقي مليونين لاستهلاكها الداخلي . وهي تستهلك هذا المقدار الكبير ، مع قلة الطرق والمركبات فيها ، لأنها تعتمد على النفط في تطورها وصناعتها والتدفئة والاضاءة

وكانت رومانيا — الى عهد انهيار فرنسا — ترسل نفطها بحراً في البحر المتوسط الى موانىء أوربة الغربية . ولا يخفى ان ايطاليا كانت تتلقى منه أكثر من بضع مئة الف طن والمانيا مليوناً أو أكثر . فقد دخلت ايطاليا الحرب في ١٠ يونيو ١٩٤٠ اصبح الصادر الروماني محبوساً على المحور دون غيره . ولكن مشكلة نقله — وقد مُنع طريق البحر المتوسط — كانت معقدة . فالدانوب لا يتسع لنقل مقدار يزيد على مليون ونصف مليون

من الأطنان . والباقي يجب أن ينقل بسكك الحديد الى مختلف أنحاء القارة الاوربية . والنقل بسكك الحديد مرهق ارهاقاً لا يتسع المجال في هذا المقال لتفصيله

وقد أصابت المانيا في البلدان المحتلة ، مقادير من النفط منها ما يستخرج من الآبار في البلاد التي استولت عليها أو دخلت في نطاقها ، ومنها ما كان مخزوناً فيها . ففي غربي بولونيا آبار تخرج ١٥٠ الف طن في السنة (يستخرج منها من ١٥ الى ٢٠ في المائة من مواد التزييت) وفي شرقي بولونيا آبار تخرج ٣٥٠ الف طن في السنة وهذه آلت اليهم بعد الهجوم على روسيا . وفي الالزاس آبار تخرج ٧٥ الف طن في السنة . وفي هنغاريا والبانيا آبار تخرج نحو ٤٠٠ الف طن في السنة . وفي استونيا آبار تخرج نحو ١٠٠ الف طن في السنة والمجموع أكثر من مليون طن قليلاً . أما المخزون الذي أصابوه في الدنمارك وهولندا وبلجيكا وفرنسا فيبلغ مليوني طن من النفط الخام على المرجح

وقد زاد المتاح لألمانيا بعد دخول ايطاليا الحرب ، بما كان مخزوناً في ايطاليا (وهو يبلغ ٢ ¾ — ٣ ملايين طن) وما يستخرج من آبار البانيا . ولكن هذه الفائدة كانت قصيرة الأمد . لأن ايطاليا تحتاج الى مقادير كبيرة من النفط ومشتقاته في صناعتها وادائها الحربية . والاسطول الايطالي وحده كان يستهلك نحو مليون طن في السنة في مناوراته ابان السلام . وقد يكون في هذه الحقيقة بعض تفسير لسكون الاسطول الايطالي خلال الحرب

مواد التزييت (التشحيم)

ان ما يستهلكه المدنيون من مواد التزييت قلما يستطاع خفضه . حيث تدور العجلات لابد من هذه المواد . والا جفت السطوح المعدنية وعجزت عن الدوران أي إن سطوحها يجب ان تملس . وارهاق الآلات الميكانيكية في اثناء الحرب ، يجعل الاقتصاد في مواد التزييت مستحيلاً . وكانت ألمانيا تستهلك من هذه المواد ٦٠٠ الف طن في السنة قبل الحرب . ومنذ ما نشبت الحرب زاد المستهلك وكان لا بد من الاعتماد على المخزون في سد النقص . لأن استخراج هذه المواد او استخراج الجيد منها في اوربا محدود . فلا النفط الطبيعي الالماني ولا النفط الروماني يصلحان لهذا . اما النفط المركب بالكيمياء في المانيا على طريقة « فشر تروبش » فصالح لاستخراج مواد تزييت الجيدة منه . ولكن المقادير المستخرجة قليلة . ومن المجمع عليه بين خبراء النفط والصناعة ان مواد التزييت الجيدة المستخرجة من النفط الروسي والنفط الامريكي هي وحدها التي تصلح لمواجهة مطالب الصناعة الحربية والحرب . ومع ان ما يستهلك من هذه المواد لا يزيد على ٣ في المائة من المقادير المستهلكة من النفط ومشتقاته الاخرى ، فالمشكلة التي تواجهها المانيا من هذه

الناحية خطيرة ، اذ لا سبيل الى تعويض استهلاك تعويضاً وافياً من مصادر أوربية . ولذلك يستطيع الخبراء ان يصدقوا ان الدبابات الالمانية في بعض ساحات الميدان الروسي عجزت عن المضي ، لتجمد مواد التزييت فيها . وقد يكون في هذا اشارة الى مبدأ نهاية المانيا من ناحية مواد التزييت الجيدة

ساحة هتلر

في معارك بولونيا والنروج وفرنسا والبلقان لم تبدُ حاجة هتلر الى الأخذ من مخزون النفط عنده . فالمعارك نفسها كانت قصيرة الأمد حاسمة والفترات بينها كانت طويلة كافية لتعويض ما يستهلك فيها من هذه المواد ، علاوة على ما أخذ من مخزون في البلاد المفتوحة . والواقع ان ما أخذ من مخزون هذه البلاد ، زاد المخزون في المانيا . أما القتال في أفريقية والهجوم الجوي على بريطانيا ، فلم يستفد كثيراً من النفط ومشتقاته . ولكن حاجة هتلر الى النفط بدأت عند ما بدأ الهجوم على روسيا . هنا ميدان طوله ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ ميل تدور المعارك فيه على الأرض وفي الجو . وملحقاته ثلاثة بحار هي البحر الأسود وبحر بلطيق والمحيط المتجمد الشمالي . ومنذ ما بدأت الحملة الألمانية في روسيا لم تنشر الأرقام الخاصة باستهلاك النفط . ولا يجدينا ان نعلم ما تنفقه دبابة أو طائرة او سيارة من الوقود في الساعة او اليوم ولا يجدينا ان نعلم ان الفرقة الألمانية المدرعة تشمل أربعمائة دبابة متوسطة وخفيفة و ٣٣٠٠ سيارة ، اذا لم نعلم مدى حركتها واشتراكها في القتال . والخبراء الحربيون قد اختلفت آراؤهم في ما انفقته الجيوش الالمانية من النفط ومشتقاته في معركة بولونيا التي دامت سبعة عشر يوماً . ومنهم من يجعلها ٣٠٠ الف طن ومنهم من يجعلها ٧٥٠ الف طن . وما استهلك في معركة فرنسا سبع تقريباً ما استهلك في بولونيا . ويقدَّر ما استهلكه سلاح الطيران الالماني من بنزين الطيران الطيَّار المكرر ، خلال شهر من النشاط العظيم بخمسين الف طن الى مائة الف طن . فخمسمائة قاذفة تطير كل يوم اربع ساعات على المعدل وتستهلك طنّ الى طن ونصف في كل ساعة طيران ، تستنفد في شهر من ستين الف طن الى تسعين الف طن من البنزين الجيد

ويقول « هتلر » انه لا يضن بأية مبالغ في تقديره ان استهلاك الالمان للنفط في روسيا بلغ مليون طن في الشهرين بين ٢٢ يونيو وأوائل دسمبر من السنة الماضية . ومن المحتمل في رأيه ان هذا المقدار هبط الى نحو ٥٠٠ الف طن في الشهرين بين دسمبر ١٩٤١ وابريل ١٩٤٢

فعلى أساس هذه الحقائق التي سبق ايرادها وتقدير « هتلر » للاستهلاك الشهري في الصناعة والزراعة والنقل وفي الاعمال الحربية نفسها يتضح ان ادارة الحرب الالمانية قد أشرفت على منطقة الخطر في ما يخص تموينها بالنفط ومشتقاته